«الهدف» في المهرجان العالمي العاشر للشبيبة والطلبة

٣ النظام الاشتراكي في المانيا الديمقراطية

بقلم : عدنان بدر

في العددين الماضيين تناولنا ظروف وموضوعات التضامن الأممي ضد الامبريالية في مهرجان برلين ، كما تحدثنا عن التضامن مع النضال الفلسطيني والعربي الذي بجلى باروع صوره في ذلك المهرجان .. على أن نتحدث في هذه الحلقة عن جمهورية المانيا الديمقراطية من خلال المهرجان الذي عقد في عاصمتها .

اذا كان المهرجان العالمي العاشر للشبيبة والطلبة ، بالنسبة لجميع شعوب العالم ، بظاهرة تاريخية للتعبير عن التضامن الاممي المعادي للامبريالية ، وعن تطلعات الشبيبة نحو عالم يرفرف عليه راية الصداقة والسلم .. فانه بالنسبة لجمهورية المانيا الديمقراطية ، كان بالاضافة لذلك ، جملة موضوعات اخرى :

● كان مسؤولية اعداد وتنظيم واستقبال واستضافه هذا اللقاء العالمي الحاشد .

● كان حضور اكثر من ثلاثين الف شاب وفتاة من كل انحاء العالم للاطلاع على التجربة الاشتراكية في المانيا الديمقراطية ، وحياة الشعب والشبيبة في ظل منجزاتها .

● كان ان يطلع شعب وشبيبة المانيا الديمقراطية على قضايا وحياة الشعوب الاخرى من خلال التفاعل المباشر والعلاقات المباشرة مع ممثلي تلك الشعوب .

● كان بالاجمال حدثا سياسيا واجتماعيا عالميا ، له تأثراته وانعكاساته على حياة الشعب والشبيبة في هذه الجمهورية الفتية .

ولا يمكن تقدير اهمية المسؤوليات التي القيت هذه الموضوعات على عاتق جمهورية المانيا الديمقراطية، ما لم يوفر المام بسيط بالتحديات التي واجهها هذه الجمهورية الفتية ، والمهمات التي استطاعت ان تنجزها .

لقد خرجت المانيا – كل المانيا – من الحرب التي قادها اليها الهتلرية ، مهدمة شر تهديم .. واذا كان هذا الدمار – كما يجري في كل الحروب – قد راكم من جهة اخرى كميات هائلة من المال عند تجار السلاح والحروب من الرأسماليين ووفر لهم تكنيكية مرتفعة بأجور رخيصة .. فذلك لم يحدث منه اي شيء في القسم الالماني الذي نشأ عليه النظام الاشتراكي ، لان جميع الرأسماليين الكبار قد هربوا بما يملكونه من اموال الى القسم الاخر واغروا الكثيرين من الفنيين والاختصاصيين للذهاب معهم او اللحاق بهم ..

هذا مع العلم ان القسم الاشتراكي من المانيا، هو من الاساس القسم غير الصناعي ، القسم الزراعي الذي لا تتوفر فيه اية مصادر طاقه كالفحم والحديد الموجودين بكثافة عالية في القسم الغربي .

اذا ..

واجهت المانيا الديمقراطية مهمات ما بعد الحرب المدمرة ، بمعطيات لا توفر اية امكانية للطفرات الرأسمالية التي تحدث بعد الحروب – كما في المانيا الغربية واليابان – يضاف الى ذلك الحصار الشديد الذي فرضه الغرب الرأسمالي والحرب السياسية والاقتصادية الفروس التي شنها على الجمهورية الفتية ..

كان على الالمان الشرقيين ان يبنوا بلادهم من جديد ، وفي غياب الرأسمال المركز ، وغياب مصادر الطاقة الفتية .. كان عليهم ان يستخرجوا الطاقه من ذواتهم اي من الانسان الذي هو اثمن راسمال . وكان النظام الاشتراكي الذي يستطيع ان يفجر كل طاقات الانسان . كان بناء المانيا الديمقراطيه تحديا تاريخيا للانسان وللنظام الاشتراكي ، وسط ظروف موضوعية بالغة الصعوبة والخطورة .

وقد كانت هناك ثلاث مهمات رئيسية :

١ – التنظيم الاشتراكي للمجتمع .

٢ – حل المسالة الزراعية .

٣ – برمجة التصنيع على ضوء الامكانات الذاتية الموفرة .

والذي بطل حاليا ، بعد اقل من ٢٥ عاما من عمر النظام الاشتراكي هناك ، على منجزات التجربة الاشتراكية ، لا بد وان يصاب بالدهشة الكبيرة ، امام النجاح الذي اصابته هذه الجمهورية الفتية ، ليس في اعادة بناء ما هدمته الحرب ، فحسب ، بل وفي بناء بلد متقدم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .. هو الان الدولة السابعة في العالم من حيث الانتاج .

واذا كنا قد ذكرنا سابقا ، ان السلاح الرئيسي للتجربة لم يكن غير الاعتماد على الطاقة البشرية وتفجيرها وتطويرها ، فان ذلك قد تم مباشرة بالاعتماد على ارقى برامج التعليم وتوفيرها لكل الشعب .. لكن حتى هذا الاساس الذي اعتمدت عليه كل التجربة ، قد تعرض في فتراته الاولى لاقسى انواع الحروب ، وهي الحرب المركزة لاستغلال الفارق بين استراتيجيتي التعليم الرأسمالية والاشتراكية :

ففي المانيا الغربية – كما في جميع البلدان الرأسمالية – يعتبر التعليم ميدان جهد راسمالي فردي .. اي يكلف المرء لتحصيل علومه ، مبلغا كبيرا من المال ، الامر الذي يحد من قدرة كل الشعب على تحصيل العلم ، ويؤدي الى ندرة نسبية في الاختصاصيين . وهذا يؤدي الى فسح المجال امام هذه النخبة المختصة كي تدخل ميدان الثمر الرأسمالي للحصول على مكاسب مادية كبيرة .

في حين ان النظام الاشتراكي في المانيا الديمقراطية – كما في جميع البلدان الاشتراكية – يعتبر التعليم خدمة اجتماعية عامة توفر مجانا لكل الشعب ، فلا يتكلف المتعلم اي راسمال ، كما لا يعطيه اختصاصه اية امتيازات كبيرة .

هذا الفارق في السرايجين التعليميين ، مكن الامبرياليين الامريكيين والرأسماليين الالمان الغربيين ، من تسليط اسوأ عملية نهب على المانيا الديمقراطية .. عملية اغراء المخرجين فيها للهرب الى القسم الغربي .. وقد مكنت هذه العملية اللصوصية خلال سنوات قليلة من سرقه اربعة ملايين اختصاصي من المانيا الديمقراطية التي يبلغ عدد سكانها ١٨ مليون نسمه فقط .

ولم يكن مقصودا بهذه العملية الاستفاده الرأسمالية من هؤلاء الاختصاصيين فحسب ، بل كان المقصود قبل ذلك ضرب الاساس البشري الذي اعتمدت عليه التجربة الاشتراكية في المانيا الديمقراطية .

ومع ذلك كان على المانيا الديمقراطية ان تبني ما دمرته الحرب وان تطور وتتقدم في طريق بناء المجتمع الاشتراكي . وان تنتصر على كل التحديات التي تحيط بها .

في حين كانت المانيا الغربية ، مركز الرأسمال الالماني المثمر في تجارة الحرب .. ومركز الطاقة المتجمعه الهائلة ، ومركز تثمير رؤوس الاموال الامبريالية الامريكية .

وكان كل جهد الامبريالية الامريكية والرأسمالية الغربية ان تجعل من المانيا الغربية واجهة للعالم الرأسمالي امام المانيا الديمقراطية والمعسكر الاشتراكي كله .

وفي الفترة الراهنة بالذات، الفترة التاريخية المحيطة بانعقاد مهرجان برلين كان هنالك وضعان او محطتان وصلت اليهما التجربتان الرأسمالية في القسم الغربي من المانيا ، والاشتراكية في القسم الشرقي وقد اتيح لضيوف المهرجان ان يطلعوا عن كثب على مساري التجربتين في كل من المحطتين :

١ – في المانيا الغربية :

عرفت المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية طفرة اقتصادية كبيرة سماها المفكرون البرجوازيون « المعجزة الالمانية » . وقد ارتكزت هذه الطفرة على المعطيات التالية :

أ – وجود راسمال شديد التمركز (ارباح الصناعات الحربية وتجارة الحرب) .

ب – وجود تقنية عالية تقدمت تقدما كبيرا خلال الحرب .

ج – وجود مجال اعمار واسع ، اي قدرة شغيل هائلة لاعادة بناء ما هدمته الحرب .

د – تجديد وسائل الانتاج على اسس عصرية .

هـ – « مساعدات » واستثمار رؤوس اموال امريكية ضخمة .

و – امكانية مزاحمة على الاسواق الخارجية ، بفسحها ضعف الرأسماليات الاخرى التي انهكتها الحرب .

ز – وجود يد عاملة رخيصة نتيجه الخراب الاقتصادي الذي احدثه الحرب في حياة الطبقة العاملة الالمانية ..

هذه المعطيات مكنت المانيا الغربية من القيام بنهضة اقتصادية واضحه على الاسس الاقتصادية والاجتماعية الرأسمالية .

لكن هذه « النهضة » ، نتيجة العلاقات الرأسمالية ، لم يكن بمقدورها ابدا ان تتابع سيرها على نفس الوتيرة .. لقد كان محتما ان تسقط عاجلا ام آجلا في وحل الازمات الرأسمالية لقد تضخم الانتاج الذي يعود ربحه للطبقة الاحتكارية .. ولم يعد بامكان القدرة الشرائية للشعب ان تستوعبه .. كما لم تعد السوق العالمية قادرة على امتصاصه ، نتيجة نهوض حركات التحرر الوطني في العالم الثالث، ونتيجة الحجم المزداد للاقتصاد الاشتراكي في الاقتصاد العالمي ، ونتيجة اشتداد التزاحم بين مختلف الكتل الامبريالية . ودخلت المانيا الغربية مرحلة التضخم : المرض الاشد فتكا بالرأسمالية . واخذ مقص الفارق بين القدرة الانتاجية المحتكرة من قبل طبقة واحدة ، والقدرة الاستهلاكية لكل الشعب ، يضغط على عنق الاقتصاد الرأسمالي وعلاقاته الاجتماعية . واخذ يحتدم باضطراد التناقض بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح الاحتكاريين . فترتفع الاسعار وتزداد البطالة ، وتتصاعد نضالات الطبقة العاملة .

وهذه الازمة او هذه الحالة السعصية باضطراد ، هي ما تعانيه المانيا الغربية حاليا .

٢ – المانيا الديمقراطية :

كان انطلاق المانيا الديمقراطية بعد الحرب ، مغايرا تماما لانطلاق المانيا الغربية .. وكانت كل المعطيات الموفرة في الغرب – والمذكورة اعلاه – غائبة غيابا كاملا في الشرق .. وكان على المانيا الديمقراطية ان تنطلق من معطى اساسي واحد هو : التنظيم الاشتراكي للمجتمع القادر على تفجير كل الطاقات البشرية وتطويرها واستخدامها .

وعلى هذا الاساس حلت المانيا الديمقراطية مسالة الملكية الخاصة للارض واحالتها الى ملكية اشتراكية اكثر قدرة على الانتاج وتطوير مردوده باستمرار كما وضعت البرامج الاجتماعية والاقتصادية التي كفلت وتكفل للتقدم المستمر ، حتى وصلت الان الى ما هي عليه .. الى الوضع الراهن والمزود بقدرة هائلة على استمرار الوتيرة المتصاعدة للنمو .. فزيادة الانتاج في البلدان الاشتراكيه ، لا تؤدي الى ازمة التضخم ، بل على العكس تؤدي الى زيادة القدرة الاستهلاكية لمجموع الشعب .. والفارق بين القدرة الانتاجية والقدرة الاستهلاكية للمجتمع تذهب الى رفع مستوى معيشة الشعب بدلا من ان تذهب الى جيوب الاحتكاريين وتكون محرك الازمة الاقتصادية في المجتمع الرأسمالي .

ان محرك نمو الانتاج الاشتراكي هو الانسجام التام بين العمل وعلاقات العمل .. بين القدرتين الانتاجية والاستهلاكية للمجتمع .

اذا ..

نحن امام نموذجين للتطور في المانيا : النموذج الرأسمالي الذي سهد طوره ما بعد الحرب ، ثم قادته علاقاته الرأسمالية الى الازمة الخانقة الراهنة . والنموذج الاشتراكي الذي انطلق من معطيات صعبه وواجه حربا وحصارا شديدين ، لكنه بالاعتماد على النظام الاشتراكي للعمل استطاع مواجهة كل التحديات والوصول الى ما هو عليه الان ، وهو يحرك صعودا سريعه مزايده باستمرار .

وفي فترة انعقاد المهرجان ، كان تطور المانيا الديمقراطيه قد وصل الى مرحلة زرعت الثقة بالنظام الاشتراكي والانسان الاشتراكي .. الامر الذي مكن المانيا الديمقراطيه من فتح ابوابها امام ممثلي كل العالم للاطلاع على التجربه .

وقد كان ممثلو كل العالم ينتمون الى مختلف المدارس والاراء والايديولوجيات .. وكانت المناقشات مطلقه الحرية ، يقول مراسل راديو « اس.اف.بي » في برلين الغربيه : « لقد غدت المدينه – برلين الشرقيه – مشهدا كاملا لتبادل الاراء بدون اي ترتيبات خاصه .. والذي يلاحظ ان شبيبه المانيا الديمقراطيه يحاورون الاخرين بدرجة عاليه من الثقه بالنفس » .

وكتبت صحيفه « فرنكفورتر الغمانيه » تقول : « من بوابه براندنبرغ الى حدائق « ترسو » ، تحولت المدينه كلها الى مسرح كبير في الهواء الطلق » .

كل ذلك وفق ارقى آداب النظام ، والكرم والفرح ، لقد كنا نشعر اننا ضيوف على كل فرد من افراد شعب المانيا الديمقراطية .

وهذه الثقة بالنفس وبالنظام التي امتحنها شعب وشبيبه المانيا الديمقراطيه خلال المهرجان، سوف تحول الى طاقه خلاقه ، تزيد من حماس بناة الاشتراكيه الشباب في الجمهوريه الفتيه ، كما انها في المقابل ستزيد من حماس كل القوى التقدميه التي اتصلت بها ، لتشدد من نضالاتها ضد الامبرياليه والرأسماليه في كل العالم

لقد اتاح لنا المهرجان ان نطلع على تجربه اجتماعيه تنتمي الى عالم الغد .. وقد اكسبنا هذا الاطلاع المزيد من الثقة بانتصار الشعوب وانتصار الاشتراكيه المحتم .

لكنه غرس فينا – نحن الصحفيين – شعورا بالذنب تجاه عدم قدرتنا على نقل كل ما اطلعنا عليه ، وعلى التعبير الدقيق عن المستوى المتقدم لهذه التجربه ■■

كلمة الوفد الفلسطيني في اللقاء

مع قيادة الشبيبة الالمانية الحرة

خلال المهرجان ، اقامت قيادة الشبيبة الالمانية الحرة ، مأدبة تكريم لوفد الشبيبة الفلسطيني .. وخلال هذا اللقاء التضامني الحار ، القى الرفيق تيسير قبعة رئيس الوفد الكلمة التالية :

ايها الرفاق الاعزاء ،

نشعر بسعادة واعتزاز عميقين حين نقف بينكم الان . لقد قمتم شعوركم بالتضامن الثوري ورسخ في نفوسنا اليقين من ان للشعب الفلسطيني والشعوب العربية اصدقاء مخلصين يعتمد عليهم في جمهورية المانيا الديمقراطية .

لقد شاهدتم بالامس كيف عبر وفدنا عن نتائج مهرجانات ولقاءات التضامن العديدة التي اقيمت في اماكن مختلفة . ان كل وفدنا متفق على ان شبيبه وشعب المانيا الديمقراطية يقفان دون تردد الى جانب شعبنا الفلسطيني لقد جسدتم شعارات الصداقة والسلم والتضامن .

ايها الرفاق ،

اسمحوا لنا ان نعبر عن عميق شكرنا للرفاق من الشبيبة الالمانية الحرة وللرفاق المسؤولين في جمهورية المانيا الديمقراطية على الجهود التي بذلوها لانجاح وانجاح هذا اللقاء العالمي بين شبيبه وشعوب العالم ، الذي سيرسخ اسس الصداقة والسلم والتعاون بين شعوب الارض .

اننا نعلم ان حبكم للسلم وعزمكم على المضي في النضال ضد الامبريالية يستندان الى تجربة طويلة من الكفاح المرير ضد كل انواع الاضطهاد والاستغلال والعنصرية والاستعمار . وبعانون من قوانين الفرقة العنصرية والاستغلال والاضطهاد السياسي . كما ان النصف الاخر من شعبنا يعيش خارج وطنه بعد ان طردته القوى الصهيونيه بمساندة الاستعمار . ويعيش معظمه في ظروف معيشية اقتصاديه سيئة . امام هذا الوضع حمل شعبنا السلاح دفاعا عن نفسه مره اخرى وفي سبيل استعادة وطنه وحقه في تقرير المصير والعدم الاجتماعي وهو يقاتل حتى يدك اسس النظام الاسرائيلي العاشية الاستعماريه العنصريه ولبنى مكانها تماما كما فعلتم انتم مجتمعا يقوم على اسس الديمقراطيه والاستقلال والعداله الاجتماعيه. ويستند نضال شعبنا الى تراث عميق من عشرات السنين بدأها في اوائل هذا القرن ضد الاستعمار التركي ثم ضد الانتداب البريطاني والمؤامرات الاستعماريه الصهيونيه. واستخدم شعبنا كل اساليب النضال وحمل السلاح اكثر من مره . وهو اليوم يحمل مره اخرى بتصميم ولن يلقيه حتى يحقق اهدافه جميعا .

ايها الرفاق ،

ان قضايا النضال ضد الامبريالية بمختلف اشكالها متشابكة ولا يمكن التفريق بينها . ولقد اكدت الثورة الفيتنامية ان الشعوب المقاتله يجب ان تستند الى تحالف اممي قوي . لقد وقفت جميع القوى الديمقراطية والمحبة للسلام في العالم الى جانب الثوره الفيتنامية . واغلب البلدان الاشتراكية ، وعلى راسها الاتحاد السوفياتي دون حدود . وساهم هذا العطاء في احراز النصر العظيم للشعب الفيتنامي وستساهم في تحقيق انتصار جميع شعوب الهند الصينية وفي انتصار جميع ثورات التحرر الوطني والديمقراطي في العالم .

ان هذه القوى جميعا التي ساندت الثوره الفيتنامية تقف اليوم الى جانب نضال الشعب الفلسطيني .

ان حركة المقاومة الفلسطينيه تعبر البلدان الاشتراكيه حليفا اساسيا وقاعده صلبه – ستطيع الاعتماد عليها – وهي تنظر باهميه خاصه الى ضروره تعزيز الصداقة والتضامن مع جمهوريه المانيا الديمقراطيه لانها تقف ثلثها في الصف الامامي المواجه للامبرياليه .

ايها الرفاق ،

ان صمودكم في الخط الامامي ضد الامبرياليه وفي بقعة قلعه الاشتراكية والسلم هنا يشكل ضمانه هامه لنا ، كما ان نضالنا ضد الامبرياليه والصهيونيه والرجعية هو ضمان لكم . ان نضال شعبنا وانتصارهما سيشكلان خطوات حاسمة على طريق عالم السلم والصداقه .

لنرفع معا رايات التضامن الاممي، ورايات الصداقه والسلم .

معا ضد الامبرياليه

معا ضد الصهيونيه

معا ضد الرجعيه والنازيه الجديده

عاشت جمهوريه المانيا الديمقراطيه

عاشت شبيبه المانيا الحره

عاش المهرجان العاشر ■■

الى الصحافيين الكرام

مجموعة كبيرة من الملبوسات
للصيف والشتاء
تعرضها الان
بمحلات

عطاالله فريج

بيروت

قرب سينما بيبلوس

بناية سينما متروبول

شارع الحمراء عبد العزيز – فرن الشباك

للرجال والاولاد